المصاحف الموقوفة وأهميتها في المجتمع الإسلامي

الباحث: مختار قديري
سنة ثانية دكتوراه تفسير وتشريع مقارن، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي.
guedirimokhtar@gmai.com

ملخص البحث

تعدّ الأوقاف العلمية وخاصة المصاحف الوقفية من أهم مظاهر الرقي في المجتمع الإسلامي، وذلك لما توفره من مصادر للعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، لذلك أقبل المسلمون قديما وحديثا على وقف المصاحف والكتب النافعة على خزائن ومكتبات الجوامع والكتاتيب ليستفيد منها العلماء والمعلمون والطلبة وحتى عوام الناس بالقراءة فيها، وذلك خدمة للقرآن الكريم. وفي هذا البحث أردت تسليط الضوء على المصاحف الموقوفة، والتعريف بها، وعرض نماذج لعناية المسلمين بوقفها، وبيان حكمها، ودورها الفعّل في تشجيع العلم وفي الرقي بالمجتمع الإسلامي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تعدّ المصاحف الموقوفة من أهم الأوقاف العلمية، وقد كان المسلمون حريصين منذ القديم على وقف المصاحف خاصة والتفاسير وكتب العلم النافعة عامّة على خزائن ومكتبات الجوامع والكتاتيب والمكتبات، وذلك ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى.

لذلك أردنا دراسة هذا الوقف العلمي وبيان حكمه في الفقه الإسلامي، وكذا بيان العناية به، وإسهامات نسّاخ المصاحف فيه، وأهميته في حياة المسلمين، فكان عنوان البحث: "المصاحف الموقوفة وأهميتها في المجتمع الإسلامي".

وكانت خطته مفصلة كالآتي:

المطلب الأول: التعريف بالمصاحف الموقوفة وأدلة مشروعية وقفها.

المطلب الثاني: حكم وقف المصاحف في الفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: عناية المسلمين بوقف المصاحف خدمة للقرآن الكريم.

المطلب الرابع: إسهامات نسّاخ المصاحف في خدمة المصاحف الوقفية.

المطلب الخامس: أهمية المصاحف الموقوفة في المجتمع الإسلامي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: التعريف بالمصاحف الموقوفة وأدلة مشروعية وقفها:

بداية وقبل الخوض في موضوع البحث نحاول أن نعرج إلى التعريف بمصطلحات موضوع البحث من خلال الآتي:

1. تعريف الوقف

لغة: الوقف بفتح الواو وسكون القاف، يقال وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه أو أحبسه، وجمعها أوقاف ووقوف، وسمي وقفا لأن فيه حبساً للمال على جهة معينة.

ومن مرادفات الوقف: الحبس، والتسبيل[1].

اصطلاحا: وأما في الاصطلاح فلقد ذكر الفقهاء عدّة تعريفات للوقف، وكلها تدور على معنى واحد، ومن أشمل هذه التعريفات تعريف ابن قدامة، حيث يقول: "الوقف تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة"[2].

ويؤيد هذا التعريف حديث قتيبة في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمر به؟ قال:«إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»[3].

2. تعريف المصحف

لغة: المصحفُ مُثلَّثَةَ الميم، والأشهر الضم، وهو مأخوذ من أُصْحِفَ، أي جمعت فيه الصُّحُفُ[4].

اصطلاحًا: عرفه الراغب الأصفهاني عند ذكره لمادة صحف، فقال: "المُصْحَفُ: ما جعل

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس(136/6)، ولسان العرب لابن منظور (359/9-360)، والمطلع على ألفاظ المقنع (ص: 344).

(2) المغني لابن قدامه (6/ 5).

(3) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، رقم: 2586، (982/2).

(4) ينظر: القاموس المحيط(ص: 826)، ولسان العرب(181/9).

جامعا لِلصُّحُفِ المكتوبة، وجمعه: مَصَاحِفُ"[1].

3. مفهوم المصاحف الموقوفة:

وعلى هذا ومما تقدم في تعريف الوقف يمكننا القول في تعريف المصاحف الموقوفة أنّها:

حبس المصاحف مؤبدا أو مؤقتا في المساجد والمدارس القرآنية والمكاتب العامة، وغيرها للانتفاع بها في قراءة القرآن الكريم وحفظه ومدارسته.

4. أدلة مشروعية الوقف:

استدل الفقهاء على مشروعية الوقف بعدّة أدلة، وإن كانت لا تحمل نصا صريحا في الدلالة على الوقف، نذكر منها:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران: 92]، وقوله: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: 77] ففي الآيتين الحثّ على فعل الخير، ولا شك أن تسبيل منافع الأشياء والتصديق بها على المسلمين من الخير والإنفاق المرغّب فيهما.

من السنة: واستدلوا من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذا مَاتَ (الْإِنْسَان) انْقَطع عَنهُ عمله إِلَّا من ثَلَاث: إِلَّا من صَدَقَة جَارِيَة، أَو علم ينْتَفع بِهِ، أَو ولد صَالح يَدْعُو لَهُ»[2] وأدخلوا توقيف المصاحف ضمن الصدقات الجارية التي تلحق العبد ولو بعد موته.

وكذا بما جاء في الصحيحين من تصدق أبي طلحة بنخله (بيرحاء) في سبيل الله، فذلك أيضا يعدّ من الصدقات الجارية.

المطلب الثاني: حكم وقف المصاحف في الفقه الإسلامي

ذهب أغلب الفقهاء بما في ذلك عامة مشايخ الحنفية إلى جواز وقف المصاحف والكتب النافعة على المساجد والكتاتيب والمكتبات للانتفاع بالقراءة بها.

ولم يخالف في ذلك إلا الإمام أبو حنيفة النعمان الذي ذهب إلى عدم جواز وقف المصاحف كسائر المنقولات غير آلات الجهاد التي لا يجوز وقفها والمصاحف تعد من المنقولات.

وللفقهاء عموما اتجاهان في مسألة وقف المصاحف:

الاتجاه الأول: للإمام أبي حنيفة حيث ذهب إلى عدم جواز وقف المنقولات.

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 476).

(2) المسند الصحيح المختصر، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد موته، رقم: 1631، (3/1255).

والاتجاه الثاني: لأغلب الفقهاء بما في ذلك عامة مشايخ المذهب الحنفي، حيث ذهبوا إلى جواز وقف المصاحف بالقراءة بها.

وخلاف الأحناف لإمامهم اعتباراً بأنه وإن كانت المصاحف معدودة من المنقولات في الأصل إلا أنها لا يدخلونه فيها بحجة جريان التعارف بوقفها[1].

والذي يظهر والله أعلم من خلال النظر في أدلة مشروعية الوقف أن الإمام أبا حنيفة، لم يصله حديث« إذا مات ابن آدم... »، والذي فيه دلالة واضحة على أن هناك أعمالاً تلحق العبد بعد موته، ومن بينها الصدقة الجارية.

المطلب الثالث: عناية المسلمين بوقف المصاحف خدمة للقرآن الكريم

لقد كان المسلمون وعلى مر العصور والأزمان يتسابقون إلى تزويد المساجد والمدارس القرآنية والكتاتيب بالمصاحف الوقفية، وذلك حتى يستفيد منها المعلمون والطلاب، وذلك لأنهم كانوا يدركون أن مثل هذه المصاحف لها دور كبير في خدمة القرآن الكريم وأهله، وبدون مثل هذه الأوقاف العلمية تتعطل العملية التعليمية، أو يصيبها نقص كبير.

لقد كان لهذه المصاحف دور كبير في نشر العلم، خاصة في تلك الفترة التي كانت فيها وسائل الكتابة شحيحة، وكان الطلاب والمعلمون يلجؤون إلى المساجد والكتاتيب من أجل الاستفادة والقراءة من المصاحب الوقفية المحبوسة، لعدم قدراتهم على نسخ المصاحف أو شرائها، والنماذج المشرقة التي سطرها التاريخ حول التنافس في الخير ووقف المصاحف والكتب النافعة، رغبة في نشر العلم كثيرة، نذكر منها:

1. وقف أسماء المصحف على الجامع العتيق بمصر:

قيام أسماء بنت أبي بكر بوقف المصحف الذي كان عندها على المسجد العتيق بمصر، "قال القضاعى في كتاب الخطط: إنها أسماء بنت أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان، بنت أخي سيدنا عمر بن عبد العزيز، الإمام العادل، وهى التي وضعت المصحف بالجامع العتيق بمصر، وهو باق على ما هو عليه"[2].

2. الرجل العراقي الذي وقف المصحف العثماني على الجامع الأموي:

ومن ذلك قصة الرجل العراقي التي ذكرها المقريزي، والذي جاء بالمصحف العثماني ووقفه

(1) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (38/ 18).
(2) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (1/ 419).

على الجامع الأموي، قال المقريزي: "كان قد حضر إلى مصر رجل من أهل العراق وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه الذي كان بين يديه يوم الدار، وكان فيه أثر الدم، وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر، ودفع المصحف إلى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضي، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله في الجامع، وشهره وجعل عليه خشبا منقوشا، وكان الإمام يقرأ فيه يوما، وفي مصحف أسماء يوما، ولم يزال على ذلك إلى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة في مصحف أسماء، وذلك في أيام العزيز بالله، لخمس خلون من المحرّم سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة"[1].

3. وقف الحاكم المصاحف على الجامع العتيق:

ونقل أيضا المقريزي قصة الحاكم[2] الذي أنزل من خزائن قصره عددا كبيرا من المصاحف والربعات وأوقفها على الجامع العتيق، " قال المسبحي في تاريخه، وفي سنة ثلاث وأربعمائة أنزل من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا، ما بين ختمات وربعات، فيها ما هو مكتوب كله بالذهب، ومكن الناس من القراءة فيها"[3].

4. وقف الحاكم المصاحف على جامع ابن طولون:

وأنزل الحاكم أيضا عددا من المصاحف إلى جامع ابن طولون، " قال المسبحيّ: إن الحاكم أنزل إلى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا"[4].

5. وقف ملك المغرب ورقات من المصحف على بيت المقدس:

وذكر ابن بطوطة أن سلطان المغرب أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان كتب ورقات من المصحف بيده وأوقفها على بيت المقدس، وجعل على تلاوته أوقافا عديدة[5].

وجاء في نفح الطيب عند ترجمة الإمام اليقوري أن ملك المغرب أرسل معه بمصحف قرآن كبير

(1) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (4/ 20).

(2) وهو الحاكم بأمر الله أبو علي، منصور بن العزيز العبيدي، الفاطمي، المغربي الأصل، المصري المولد والمنشأ والدّار والوفاة، بُويِّع بالخلافة بعد موت أبيه العزيز سنة 386ه، كان في أول أمره صالحا عادلا، ثم لما كبر تغيّر حاله، وعبد الكواكب، وأصبحت أوامره تضحك الناس، ولمّا استبد وعظم ظلمه وطغى وتجبر، وفسدت عقيدته، عملت أخته ست الملك على قتله خوفا من زوال حكمهم، وكان ذلك في 28 شوال411ه، ووليِ الملك بعده ابنه الظاهر (ينظر: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (1/ 274-276)).

(3) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (4/ 13).

(4) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (4/ 42).

(5) ينظر: رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية (1/ 251).

يحمله بغل ليوقف بالحرم المكي، حيث قال: " ومنهم اليقّوري، وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم مصنف كتاب إكمال الإكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم، وكتبٍ على كتاب الشهاب القرافي في الأصول، وسمع الحديث، وقدم إلى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة، ثم عاد بعد حجّه، ومات بمراكش سنة 707"[1].

6. كتابة السلطان المظفري المصاحف بيده ووقفه على المدرسة المظفرية بمكة المكرمة:

ومن هذه النماذج المشرقة أيضا أوقاف السلطان مظفر شاه[2] الكجراتي، الذي كان يقوم بكتابة المصحف الشريف بيده ثم يودعه في المدرسة المظفرية بمكة المكرمة، ليستفيد بها القراء وطلبة العلم[3].

7. وصية الشيخ عارف حكمت رحمه الله بوقف المصاحف والكتب النافعة:

ومن ذلك أيضا قيام الشيخ عارف حكمت[4] رحمه الله بوقف عدد كبير من المصاحف والكتب النافعة، حيث قال في وصيته الوقفية: "إني وقفت وقفًا صحيحًا شرعيًا مؤبدًا، وحبسًا صريحًا مرعيًا مخلدًا المصاحف الشريفة التي عددها ستة عشر مصحفًا، وكتبي النفيسة التي عددها خمسة آلاف كتاب... "[5].

8. وقف المصاحف في عصرنا الحاضر:

وفي وقتنا الحاضر ومع تطور وسائل الطباعة وانتشارها، أقبل المسلمون دولا وأفرادا وجماعات على وقف المصاحف ونشرها، ومن ذلك:

قيام وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر كل سنة بطباعة وتوزيع عدد كبير من المصاحف ووقفها على المساجد والزوايا، والمراكز الإسلامية خلال شهر رمضان في كامل أنحاء القطر الجزائري.

ومنه قيام مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمملكة العربية السعودية بطباعة

(1) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ت إحسان عباس (2/ 53).

(2) هو الملك مظفر شاه بن وجيه الدهلوي، السلطان العادل الصالح المجاهد،كان اسمه ظفر خان، ولاه السلطان محمد شاه الفيروزي كجرات سنة 793ه، ولما تلاشت أركان السلطة بدلهي استقل بكجرات سنة 810ه ولقّب نفسه بمظفر شاه، توفي رحمه الله مسموما 813ه (ينظر : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (3/ 283)).

(3) ينظر: عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم (ص: 27).

(4) هو الشيخ أحمد عارف حكمت بن إبراهيم، ينتهي نسبة إلى بيت النبوة، اشتهر بمكتبة عظيمة له في المدينة المنورة، تعرف إلى اليوم بمكتبة عارف حكمت. تقلد قضاء القدس ثم مصر ثم المدينة المدينة المنورة، وولي مشيخة الإسلام في الأستانة سنة 1262 ه، من مؤلفاته: "مجموعة تراجم"، و"ديوان شعر "، توفي رحمه الله يوم الأحد 16 شعبان 1275ه (ينظر : الأعلام، الزركلي(1/141)، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص: 143)).

(5) عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم (ص: 35)

المصحف وتوزيعه مجانا، وكذا قيام مؤسسة محمد السادس لطباعة المصحف بالمغرب بطباعة مليون نسخة كل عام من المصحف المسبع وتوزيعها مجانا في الدول الإفريقية،...

هذا ومما سبق يتبيّن العناية الفائقة للمسلمين قديما وحديثا بوقف المصاحف على الجوامع والمساجد والمكتبات والكتاتيب، وأنها أخذت النصيب الأوفر من الأوقاف مقارنة بالكتب العلمية الأخرى، وأكبر دليل على ذلك الكم الكبير من المصاحف المخطوطة الذي تزخر به أغلب مراكز المخطوطات العالمية والزوايا والمساجد والمكتبات.

المطلب الرابع: إسهامات نسّاخ[1] المصاحف في خدمة المصاحف الوقفية

لقد كان للخطاطين ونُسّاخ المصاحف دور كبير في نشر المصاحف الوقفية، وذلك عن طريق كتابة النسخ المتعددة من القرآن الكريم ونشرها وتوقيفها، وكانوا يلبون الطلبات المتزايدة لنسخ القرآن للدراسة والتدريس في المساجد والمدارس وبيوت الناس، ومن مظاهر إسهامات النسّاخ في نسخ ووقف المصاحف:

1. إسهام أعضاء اللجنة الرباعية في نسخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية:

إن قيام اللجنة الرباعية الموقرة بقرار من سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، والمتكونة من الصحابة الكرام: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث رضي الله عنهم باستنساخ مصاحف من القرآن الكريم وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية الأربعة أو الخمسة أو السبعة لتكون هي العمدة والمرجع في استنساخ كتاب الله تعالى يُعدُّ إسهاما فعالا في وقف المصاحف الشريفة.

2. إسهام النسّاخ والوراقين في نسخ المصحف الشريف:

وهناك نسّاخ ووراقون تخصّصوا في نَسْخ المصاحف، كان لهم الأثر البالغ في نشر المصحف الشريف، ولقد تنافس على مصاحفهم الملوك والكبار فما دونهم، نذكر منهم:

• عائلة ابن غَطُّوس:

قال عبد الواحد المراكشي في ترجمة ابن غَطُّوس البَلَنْسيّ: "وكان منقطعًا إلى كتابة المصاحف متقدمًا في براعة خطها إمامًا في جَوْدة ضبطها، على غَفْلة كانت فيه، وممّا شاع أنه نَسَخَ من كتاب الله عزّ وجل ألفَ نسخة، وأنّ ذلك عن قَسَم أنْ لا يخُطَّ حرفًا من غيره تقرُّبًا إلى الله وتنزيهًا لتنزيله أن يخلِطَه بسواه، فسُعِد بالإعانة على بِرِّ هذا القَسَم ودأب على هذا العمل المبرور عمُرَه، وتنافس

(1) والنُّسّاخ هم جماعة من محترفي الكتابة كانوا ينسخون المصاحف وكتب العلماء.

الناسُ على طبقاتهم، الملوكُ فمَن دونَهم، فيما يوجدُ من خطّه، وخَلَف في ذلك أباه وأخاه، وكانوا كلُّهم آيةً من آيات الله في إتقان هذه الصَّنعة المباركة"[1].

• وممن نبغ في هذا الفن:

أحمد بن عمر بن الأشعث المقرئ السمرقندي، كان يكتب المصاحف وهو يقرئ القرآن، قال عنه أبو الحسن عليّ بن أحمد بن قُبَيْس الغسّانيّ: "كان أبو بكر يكتب المصاحف مِن حفظه، وكان إذا فرغ من الوجه كتب الوجه الآخر إلى أن يجفّ، ثمّ يكتب الوجه الّذي بينهما فلا يكاد أن يزيد ولا يُنْقص، مع كونه يكتب في قطع كبير، وقطع لطيف"[2]، وقال عنه محمد بن عبد الملك الهَمَذَانيّ في تاريخه: "هو مشهور في التَّقدُّم بالقرآن ونسْخ المصاحف، جَعَل دأبَه أن ينسخ، ويُقرئ جماعةً بروايات مختلفة، يردُّ على المخطئ منهم. فكان له في هذا كلّ عجيبة، رحمه الله"[3].

• ومنهم كذلك:

أَبُو دَاوُد سُلَيْمَان بن سليم المصاحفي، واشتهر بهذة النسبة لكونه كان يكتب المصاحف فنسب إليها، قال عنه ابن الأثير في اللباب: "كَانَ يكْتب الْمَصَاحِف ويوقفها"[4].

3. نسخ المصاحف بالرباطات وتوقيفها:

وكان يوجد في كل رباط[5] من الرباطات التي كانت منتشرة ببلاد المغرب العربي، وتعنى بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه، دار لاستنساخ المصحف الشريف والكتب النافعة وتوزيعها مجانا على طلبة العلم[6].

4. نسخ السلطان أبو الحسن المُصَاحِف بخط يده ووقفها على المساجد الثلاثة:

قَالَ الْعَلامَة أَبُو الْعَبَّاس الْمقري في نفح الطّيب:

" كَانَ السُّلْطَان أَبُو الْحسن المريني[7] قد كتب ثَلَاثَة مصاحف شريفة بِخَطِّهِ وأرسلها إِلَى

(1) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (1/ 171)

(2) تاريخ الإسلام، (33/292).

(3) تاريخ الإسلام، (33/293).

(4)اللباب في تهذيب الأنساب (3/ 218).

(5) وهي عبارة عن مراكز ثقافي، يهتم بتعليم القرآن الكريم، ويكون في شكل ثكنة تتكون من عدّة غرب يتوسطها صحن، وتنتهي هذه الثكنة بجامع له مئذنة تستخدم للأذان المراقبة(ينظر: صور العناية بتعليم القرآن الكريم في المغرب العربي(ص:32)).

(6) ينظر: صور العناية بتعليم القرآن الكريم في المغرب العربي، (ص:32).

(7) هو أبو الحسن علي بن عثمان المعروف بأبي الحسن المريني، عاشر ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، ومن أكبرهم

المُسَاجِد الثَّلَاثَة الَّتِي تشد إِلَيْهَا الرّحال ووقف عَلَيْهَا أوقافا جليلة "[1].

5. مساهمة نساء الأندلس في نسخ المصاحف ووقفها:

وحتى النساء في الأندلس كان لهن دور بارز وإسهام كبير في نسخ المصحف الشريف وتوقيفه، فقد ذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب ما حكاه ابن فياض في تاريخه حول أخبار قرطبة فقال: "كان بالرَّبض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي؛ هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها"[2].

وهؤلاء النسوة كن في جهة من جهات قرطبة، فما بالك بباقي الجهات، وكن يقمن بوقف هذه المصاحف بعد نسخها على المساجد بنية تحصيل الأجر والثواب والتقرب إلى الله عز وجل.

والأمثلة على جهود النسّاخ في نشر المصاحف الوقفية، كثيرة لا يسع المجال لذكرها في هذا البحث، واكتفيت بما قررت في هذا المطلب.

المطلب الخامس: أهمية المصاحف الموقوفة في المجتمع الإسلامي

مما سبق ومن خلال إقدام العلماء والملوك والأمراء والصالحين على وقف المصاحف والكتب النافعة، تظهر الأهمية البالغة للمصاحف الموقوفة في الجوامع والكتاتيب والمدارس على الفرد والمجتمع الإسلامي، والتي يمكن تلخيصها في الآتي:

1. لقد قامت المصاحف الموقوفة في الجوامع والمدارس بدور كبير في نشر التعليم القرآني، وكانت بمثابة المصادر الأصلية التي اعتمدت عليها الكتاتيب والمدارس القرآنية.

2. أنها تعدُّ من الصدقات الجارية التي يلحق ثوابها العبد ولو بعد موته كما جاء في الحديث الصحيح سالف الذكر، لذلك حرص المسلمون منذ القرون الأولى على حبس المصاحف والكتب النافعة على خزائن الجوامع والمساجد والكتاتيب والمكتبات رغبة في تحصيل الأجر ونشر العلم.

3. لقد كان لهذه المصاحف الوقفية الأثر الكبير في حفظ القرآن الكريم، مكتوبا في الصحف ومحفوظا في الصدور، منزها من التغيير والتبديل والتحريف.

وأعظمهم على الإطلاق، حكم لمدة 20 سنة، وفي عهده افتتح جبل طارق، وزحف بجيوشه حتى فتح تلمسان ومدن أخرى من أفريقية، لتبلغ الدولة المرينية في عهده أوجّ توسّعها، خلف آثارا عمرانية (مدارس) في سلا ومراكش ومكناسة والزيتونة، وله مع بطولته اشتغال بالأدب يقول الشعر ويجيد الإنشاء، توفي مقتولا في شهر الأول752هـ (ينظر : الأعلام، 4/ 311).

(1) ينظر: نفح الطيب (4/ 399) بتصرف يسير.

(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص:266-267).

4. أن المصاحف الوقفية تعدّ من أهم الأوقاف العلمية التي حرص المسلمون عليها حكاما وأفراداً خدمة للقرآن الكريم.

5. كما لا يخفى الدور الفعال للمصاحف والكتب النافعة في المحافظة على تماسك المجتمع والرقي بأفراده، عن طريق نشر العلم النافع.

الخاتمة

وفي الختام يمكن تلخيص أهم نتائج وتوصيات هذا البحث في الآتي:

1. النتائج:

• إن المقصود بالمصاحف الوقفية تلك المصاحف التي حبسها أصحابها للانتفاع بالقراءة بها من الطلاب والمعلمين.

• أن المسلمين حرصوا منذ القرون الأولى على حبس المصاحف والكتب النافعة على خزائن الجوامع المساجد والكتاتيب والمكتبات رغبة في تحصيل الأجر ونشر العلم.

• أثبت التاريخ عناية المسلمين حكاما وأفرادا بالقرآن الكريم عن طريق فتح المدارس وتوقيف المصاحف والكتب النافعة،....

• النسّاخ والخطاطون الذين تصدروا لنسخ المصاحف على مرسوم خط الإمام، وإعرابها بالنقط والشكل، كان لهم الدور الكبير في نسخ المصاحف ووقفها.

• لقد كان للمصاحف الوقفية الأثر الكبير في حفظ القرآن الكريم، مكتوبا في الصحف ومحفوظا في الصدور، منزها من التغيير والتبديل والتحريف.

2. التوصيات:

• تشجيع وحث طلبة الدراسات العليا على دراسة المواضيع المتعلقة بالأوقاف العلمية، كدراسة المصاحف الوقفية في خزائن المخطوطات، وجهود النسّاخ والوراقين في نسخ المصاحف الوقفية...

• حث المؤسسات الخيرية وأهل الخير للمساهمة والتنافس في مثل هذا النوع من الأوقاف العلمية.

• إقامة الندوات والمؤتمرات وتوزيع النشرات والمطويات حول أهمية مثل هذه الأوقاف العلمية، والتي تساهم في نشر الوعي بين أفراد المجتمع بأهمية وقف المصاحف والكتب النافعة على مكتبات الجوامع والمدارس القرآنية وحاجتنا إليه، وأنها من الضروريات الملحة لنشر العلوم النافعة وتحقيق المصالح والخدمات العامة.

هذا ما يسر الله جمعه وتسطيره، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

• الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، أيار / مايو 2002 م.

• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء: 52.

• الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 ه، عدد الأجزاء: 6.

• حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن الميداني الدمشقي (ت: 1335هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 ه، 1993 م، عدد الأجزاء: 1.

• الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله المراكشي (ت: 703 هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 2012 م، عدد الأجزاء: 5.

• رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت: 779هـ)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر: 1417 هـ. ، عدد الأجزاء: 5.

• صحيحُ ابن خُزَيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق النيسابوري (ت: 311هـ)، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 2.

• عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عدد الأجزاء: 1.

• القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ، عدد الأجزاء: 1.

• اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، دار صادر، بيروت.

• لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء 1.

• مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، الشافعي (ت: 615هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

• المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء: 5.

• المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت:709هـ)، تحقيق:

محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى 1423هـ، عدد الأجزاء: 1.

• المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي (ت: 647هـ)، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، الطبعة: الأولى، 1426هـ، عدد الأجزاء: 1.

• معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي– حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ – 1988 م.

• معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: 1399هـ – 1979م، عدد الأجزاء: 6.

• المغني، أبو محمد موفق الدين بن قدامة (ت: 620هـ)، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، 1388هـ، عدد الأجزاء: 10.

• المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: 845هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي تقي الدين المقريزي (ت: 845هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 4.

• مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي (ت: 874هـ)، المحقق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، لا ط، عدد الأجزاء: 2.

• الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة: (من 1404 – 1427 هـ)، الأجزاء 24 – 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر.

• نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر الملقب بـ" الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"، عبد الحي بن فخر الدين الحسني الطالبي (ت: 1341هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 8.

• نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، لبنان، الطبعة: الجزء: 1 – الطبعة: 0، 1900، الجزء: 2 – الطبعة: 1، 1997، الجزء: 3 – الطبعة: 1، 1997، الجزء: 4 – الطبعة: 1، 1997، الجزء: 5 – الطبعة: 1، 1997، الجزء: 6، الطبعة الأولى 1968، طبعة جديدة 1997، الجزء: 7 – الطبعة: 0، 1900، عدد الأجزاء:8.